

محمّد عفيفي مطر قصيدة تان

يتحدّث الطّبي

من اطلق مهر الصيف ؟
يجري بسنايكه الخضر على اطراف الجسر
بصهيل صاصل فيه جرس العشب
وزفير ينضح بالزبد الفضي .

من اطلق مهر الصيف ؟
ينطلق فترقص معرفة خضراء
يندفع الى تيار الماء
مرتعشا يقطف ازهار البشدين
يقتات من الياسنت ويركض في الاعماق
ويشمّ العشب النابت في ارحام الطين
ويخوض خلال الطحلب والاصداق
يندفع الى الشمس المصلوبة فوق الجسر
ويشبّ على رجليه وتلمع في عينيه الريح .

من اطلق مهر الصيف ؟
حمّلي ما حمّله الطمي من الاثمار
اثقلني بالطير النائم في الاشجار
وانطلق فدقّ الحافر وجه الطفل
اسقط حملي ، اسقط حملي مهر الصيف .

نبع من ذهب وجزائر فضية
وطيور حمر شتوية

وزهور دماء
وضفائر ماء
وشموس تلمع في العينين الصافيتين .

من اطلق مهر الصيف ؟

مِنْ « الشَّمْسِ التي لا تَشْرِقُ »

١

جوفها الطينيّ بالجوع احترق
اخرجت السنة الجوع الى الدنيا طرق
تسأل الزارع قمحا وعرق
آه ، تستجديك يا سحب مياه
تشرب القيظ نهارا فنهارا
روحها تعلق شيئا يتوارى
حينما ترتعش الادرب في الليل تعود
تدخل الدور بلا قمح وماء
تسهر الليل لكي تغسل آثار النهار
بين عيني طفلة لم تشهد النور وما زالت
جنينا بين ارحام الخيال .

٥

هنا زورق قلبته الرياح
دفنت روائته في دمي
واغرقتها في ضجيج الصباح
وضيّعت آثارها ونسيت
مذاق الدموع وصوت الجراح
وبالامس كان اصفرار الوجوه
ومقبرة للصبا المقعم
وصبارة تشرب الصهد فوق
صغير ثوى - آه ، لم يفطم .

وثالكة مزقتها الظهيرة
تبكي الثرى ، خضرة البرعم
فذكرني صوتها المستجير
بامس ثوت ناره في دمي
وفي ضوئه الهمجي رأيت أبي
يتحطم فوق الطريق
وامي التي اكلت ثديها
ضيقتها رياح الظلام العميق
واخي التي جرفت الرمال
فكانت كتمثال شمع غريق
هووا ، صرخات مضية
وطواهم من الرعب قاسٍ سحق .

٨

الليل عريان تخرخر في اصابعه المياه
تتحدّر القطرات من راحاته بين الشقوق
تمتد أيدي ، ترتخي الاجفان ، تلعب رغبة
صدي باعماق القلوب
تتهدج الانفاس ، يرتجف العصير بقلب اعواد الشجر
الليل عريان فنامت اصبع الاطفال في دفء الشفاء
وسمعت غرغرة الجداول غمغمت بين الشجر
فخرجت عريان الهواجس ، رعشة الحمى معي
افنى وارجع للحياه
لقى علينا الليل فضل عباءة سوداء فارتعش الكلام
فلتات ما قلناه فضحها وعراها الظلام .
- « ماذا رأيت ، حبيبي ، بعد الرحيل الى الشمال ؟ »
- « ثلجا تكوّم وانحنى مثل الجبال » .
- « وحكاية السنتين ، هل خطرت بقلبك في الجبال ؟
هل ادفأتك ، رأيت وجهي الاسمر المعروق يهتف بالالم
وسمعت قلبي اذ تغرّب في الرياح ؟ »

— « الثلج ابيض ، والشتاء مخيم ، والنوم فاكهة
تجيب بلا اوان » .
فعرفت اني قد دُفنتُ هناك في ثلج الشمال .

٩

تنفست الغابة النائمة
والقت مناماتها للقمر
وغنم فيها العبير الغريب
وطارحه البوح وقع المطر
واشباؤها رقصت في العراء ،
تثاءب في جانبيها الحذر .
افاقت من النوم اطياريها
ترّوعها كلمات الشجر
فطارت بالوانها الغامضات
وغابت عن الكون . غاب القمر .
عبيرك يا غابة الليل فاح
واضرم في القلب احساسه
وحيرني وجهك المستريب ،
عبدت خفاه وايناسه .
تنفست يا غابة الليل في القلب ،
احرق عطرك انفاسه
وغنمة الريح ، صوت الرحيل
يدق لي الكون اجراسه
فيا غابة الليل ، يا امنا
تحرقت عمري على المنحدر
وغنمة الريح ، صوت الرحيل
ينادي بنا : « الفرار . الفرار » .

١٠

حطت الرؤيا فكانت خيمة من غير باب

رقص الكون على السلم من غير ثياب
قلت : « يا قافلة الليل خذي قلبي معك
اعشقي السير الطويل »
وانصهار الشمس في افق غريب مستحيل » .
حطت الرؤيا . فلم اشعر باقدام الفصول
وهي تمضي في دھول
ريحتها تلمس آثار الشباب
آه ، ما احلى الرؤى والقلب في فجر الشباب .

١٨

حينما تعبر دربي يا قمر
اخضر الوجه ، عميق الصوت ، مرخي الجفون
عاقدا الكف على الصدر تواري حزنك الصافي الدفين
اترك الرؤيا وقلبي شعلة
بين الحنايا مطفأة
ضوءك المرهق لا يشعل في
القلب رماد الانتظار

حينما تعبر دربي يا قمر
احمل الظلمة في صدري سراج
حينما تشرق في جوف سماوات آخر
حينما ينهدل الشعر طريقا للسفر
اترك الدرب ، اتاديك : « انتظر
ريثما اترك في الدرب السراج » .

١٩

تمهل ، تمهل ، تمهل ،
على مزلق الضوء وانظر لنا يا قمر
ولا تفرق الآن ، واصلب خطاك القصار
وكمتم فم الجرح في صدرك اللين المستطار

وغطّ باثوابك النهد ، واصعد من البحر ،
وانظر قتيل القفار
قتيل الهزيع الاخير
من الليل ، ما زال وقت ، ويأتي الهزيع الاخير
فلا تفرق الآن . وجهي انا معبر للخيول
وصدري طريق ، وثور سيدمي بقرنيه قلبي
وان جرتني ظلفه ساعة في الوحول
سيمضي اذا ما تخلّع مني الكيان
سيتركني 'مزقة' في رياح الردى
ترف قليلا وتسقط في هوة الاحتضار
فلا تفرق الآن ، واصعد من البحر حتى يحين الرحيل
وأسند الى صدرك الرخو رأسي
وكمّم جراحي باثوابك البيض ،
اغلق بكفيك عيني
وخذم بنهديك جرحي . فعيناك خبزي الاخير
ونحن القتيلان في القفر بعد الهزيع الاخير .

٢٩

ويا ريحنا المقمرة
تعالسي من الصمت (يا بلبل الفضة المغرب)
تعالسي الينا خلال المسافات ، صبّي
لنا قلبك المنسكب
خذينا ايا امنا واغسلينا
باحواضك الطائره
ضعي ساعديك الرقيقين حول المدينة
لكي تسمعها صدى قبلة الطمي والشمس والغيمة الممطرة
تغنّي باوابها العنكبوتية الصمت ، علّ الرجال
يفيقون من رعبهم في مغازي الاسرة
ودقتي بشباكها خنجر الشعر على النساء الحبيثات
يعصرن اثناءهن الرهبة

ويا بلبل الريح ، يا طائر الفضة البربرية
تلفتت حواليك ، فالارض احبولة واغتيال
تلفتت حواليك ، فالارض قد اثمرت في سرير الطغاة
سفاحا ، فجاءت بنسل بلا انفس او قلوب
فرفر ف عليها لكي تعصر الثدي من دوده
والعصير المميت
وحوم عليها لكي تدفن العار في صدرها الرحب ،
وارقص لها قبل عرس الزمان الجديد
تحدث اليها عن الشعر والعشب واصعد
بها في غمام البراءة
وخذها لتبكي خلال القرى بعد ان
ينتهي ما بها من ذرة .
ويا بلبل الطمي والريح ، ضع خنجر الشعر تحت المدينة
واغمده في روحها المقفّره .

حزين انا . فالمرارات نزت دما من ضلوعي
وعذرا أيا قريتي الصابرة
فما اتفه القول ، ما اتفه القول ،
ما اتفه القائلين الصغار
فعذرا أيا قريتي ، واغفري ما بنا من صغار .

ويا قريتي ، يا طيوراً مسائية جائعة
خذي لي لصفافة الموت . لكن أعيدي
دمي نخلة او طيوراً مسائية او هواء
خذي لي باحضائك السمير جيزة من غناء
خذي لي لارماد عينيك قارورة من دواء
خذي لي أيا قريتي وارحميني
خذي لي أيا قريتي وارحميني ارحميني .